الفصل الثاني

العولمة والبنى الطبقية متعدية الجنسية

مقدمة :

يعمل كل نمط إنتاج محدد على خلق بنيته الطبقية المتوائمة معه والمحققة لأهدافه ومصالحه في الوجود والاستمرارية والفاعلية ، وهي العملية التي تحدث بوتائر متفاوتة في سرعتها ، ومتباينة في مدى عمقها ، كما وكيفا .

وفي هذا الصدد ، نجد أن العولمة " الرأسمالية " قد عمدت – ومن منطلق الايديولوجيا الليبراليه الجديدة – إلى خلق شرائح وفئات طبقية رأسمالية وأخرى وسطى " معولمة " متعدية الجنسية ، ذات أنشطة ومصالح تقع على أرضية مشتركة ، في حين قلصت من دور وفاعلية شرائح وفئات وسطى تقليدية ذات طابع محلى ، إلى جانب تفتيتها لكيان الطبقة العاملة " التقليدية " ، والتي قد تزداد كماً في الراهن ، في حين تتضاءل كيفا ، على كافة المستويات .

البنية الطبقية في كليتها – إذن – هي في حالة تواصل مع عملية العولمة بكافة فواعلها ،وبدرجات ومستويات تتفاوت في درجه التأثير والتأثر ، فما توافق من شرائحها وفئاتها وجماعاتها الطبقية مع نمط الإنتاج الرأسمالى المعولم في الراهن تتبلور مقومات وجوده ووعيه ، وتزداد فرص التحاقه بالبنية الطبقية المعولمة " متعدية الجنسية " ، وما تناقض من هذه التكوينات الطبقية مع هذا النمط الانتاجى المهيمن تعرض للإنحدار والتدهور والإضعاف .

هذا ومن خلال متابعة الأدبيات التى رصدت وحللت البنية الطبقية متعدية الجنسية ، نجد أن الطبقة الرأسمالية قد حظيت بمعظم الاهتمام والمتابعة ، فى حين تضاءلت الدراسات والبحوث التى ركزت على الشرائح

الطبقية الوسطى ، وندر ما تعلق منها بالطبقة العاملة ، بمختلف فئاتها وقطاعاتها .

- ونركز فى هذا الفصل علي مناقشة التحولات التى طرأت على البنية الطبقية متعدية الجنسية بفعل عملية العولمة ، فنرصد فى ذلك التحول الذى طرأ على مفهوم الطبقة ذاته ومروره من طور الدولة القومية إلى طور الممارسات متعدية الجنسية . ثم ننتقل إلى مناقشة فواعل التحول إلى العولمة الطبقية ، بالتركيز على الدور الذى تلعبه الشركات متعدية الجنسية فى هذا الصدد على المستويين الاقتصادى والسياسى ، ونتلو ذلك بإستعراض للطبقتين : الرأسمالية والوسطى ، بوصفهما الأكثر حضورا فى الأدبيات من ناحية ، والأكثر تأثيرا في العولمة الرأسمالية من ناحية أخرى .

<u>أولا : تحول مفهوم الطبقة : من الدولة القومية إلى الممارسات عبر القومية:</u>

لعل التحول الواضح والمميز الذى طرأ على مفهوم الطبقة فى ظل عملية العولمة " الرأسمالية " هوما تمثل فى انتقال الوزن المرجح النسبي لعوامل تشكيلها من الدولة القومية ، أو النطاق المحلى ، إلى ممارسات متعدية للجنسية . هذه الممارسات التى تقع على مستويات متعددة : اقتصادية ، وسياسية ، وايديولوجية . وهى فى كليتها تخضع لمنطق نمط الانتاج الرأسمالى المعولم .

ويلاحظ كلا من (روبنسون W.Robinson) و (هاريس J.Harris) أن الاهتمام قد انصب تحديداً على الطبقة الرأسمالية دون غيرها ، حيث الحديث عن : طبقة رأسمالية دولية تكمن مصالحها واهتماماتها فى الاقتصاد العالمى ككل ، وفى نظام الملكية الخاصة الدولية ، الذى يسمح بحرية حركة رأس المال بين الدول .. حيث النزوع الواضح لدى معظم أقسام الطبقة

الرأسمالية " الأكثر قوة " لرؤية مستقبلها في النمو المتزايد للسوق العالمى بأكثر من اتجاه هذا السوق إلى الانكماش والتضاؤل ٠

وفي هذا الصدد يرصد (فان ديربيجل K.van Der pijl) عملية التشكيل الطبقى الدولى خلال فترة ما بعد الحرب الثانية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة ،وتدويل أقسام من الطبقة الرأسمالية ومشاريعها بإعتبارها نتاجا لإمتداد رأس المال متعدى الجنسية من ناحية ، وللتطور الناتج عن الوعى الطبقى البورجوازى الدولى من ناحية أخرى ٠

وحديثا ، تتضمن " نظرية النسق الكوكبي Theory of The Global System (لسكلير L.Sklair) تطويرا عميقا لدراسة الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية ، تلك الطبقة التى تتكون من نخب متنوعة ، وتمارس تأثيرها على مستويات متعدده : اقتصاديه ، وسياسيه ، وايديولوجية / ثقافية [١]

ولعل من أبرز ما يمايز بين (سكلير) و (روبنسون) و(هاريس) من ناحية ،وغيرهم من منظرى الطبقات متعدية الجنسية ، وبالتحديد الطبقة الراسمالية ، أن الفريق الأخير مايزال ينظر إلى (الدولة الوطنية The Nation- state) بوصفها مفهوما مركزيا في عمليه التشكيل الطبقي ، حيث أنهم يسلمون مبدئيا بأن البورجوازيات " الوطنية " – أو لنقل المحلية – تتلاقى وتتقارب خارجيا مع طبقات وطنية أخرى على مستوى النظام الدولى عبر عملية تدويل راس المال ، " وينظر إلي التكوين القائد عالميا بوصفه تواطئا دوليا لهذه البورجوازيات الوطنية ونتاجا لتحالفاتها الدولية ٠ أما (سكلير) وفريقه ، فله رؤية مغايرة ، حيث أنهم يسلمون بأن العولمة تؤسس الظروف المادية لظهور البورجوزية ، والتى لم يعد تشاركها وتعاونها يتم علي أساس وطنى " محلى " ، حيث تتصهر فى هذه العملية من التشكيل الطبقى متعدى الجنسية الجماعات المهيمنة فى طبقة ، أوجناح طبقى ، داخل نطاق فضاء متعدى للجنسية ، ومن ثم فإن التأليف العضوى ،

---

(١) W.Robinson And J. Harris, Towards A global Ruling class? Globalization and The Transnational capitalist class, science and society, vol.64. no.1 , spring 2000, pp:13-14 .

الموضوعي والذاتي لهذه الجماعات الطبقية ، لم يعد مرتبطا بالدولة القومية [١] . حيث اننا أنتقلنا بالفعل من طور التدويل Internationalization إلي طور تعدى الجنسية Transnationalization .

" وترى هذه الطبقة مهمتها متمثلة في تنظيم وتهيئة الأوضاع المتضمنة لمصالحها ومصالح النظام الكوكبى (والتى عادة وليس دائما ما تكون متطابقة) داخل النطاق متعدى الجنسية ، وداخل الدولة الوطنية ، والسياق المحلي . حيث ينطوى مفهوم الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية على وجود طبقة رأسمالية متعدية الجنسية مركزية تصيغ القرارات الكبرى على اتساع النظام ، وهى تتصل بالطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية فى كل مجتمع محلى ، واقليم ، وبلد من بلدان العالم [٢]".

هذا وفى حين أن الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية أصبحت واعية تماما بحالة " تعدى الجنسية " التى تتيحها لها العولمة ، واتباعها مشروعا طبقيا للعولمة الرأسمالية ، فإننا نجد البروليتاريا على اتساع العالم ، ورغم أنها تمر هى الأخرى بعملية من التشكيل الطبقى متعدى الجنسية ، ورغم أنها أيضا تتزايد على مستوي الواقع ، كطبقة في ذاتها ، فإنها لم تتبلور كطبقة لذاتها ، وذلك لأسباب تتعلق بالوجود المستمر للدولة المتحالفة مع الطبقة الرأسمالية ، وكلاهما يعمل على كبح تطور فاعلية هذه الطبقة [٣] .

وقد يكون من الممكن فهم القوه النسبية للطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية في ضوء الضعف النسبي للعمل متعدى الجنسية . وعلي الرغم من أن بعض التنظيمات العمالية العالمية قد انخرطت في صراعات عمل متعدية الجنسية ، وحققت بعض الانتصارات قصيرة المدى ، فإنها تواجه صعوبات

---

(١)Ibid, p:14
(٢) L.sklair, Globalization, capitalism and its Alternatives, oxford University press, oxford, 2002, p :99.
(٣) Robinson and Harris, (op.cit),p:20

جوهريه في صراعها ضد رأس المال المنظم ، محليا وعالميا ، حتى أصبح تأثيرها فى هذا المجال ضئيلا إلي حد كبير [١].

وفي (دراسة حالة) مهمة للغاية ترصد التحولات التى طرأت على ما يطلق عليه " النموذج السويدى " نجد الباحث (اندرياس بيلـر A.Bieler) يقرر أنه لايمكن تفسير موت النموذج السويدي ، المرتكز علـى منطلقـات كينزية ، بضغط رأس المال على الدولة كما تراه مقاربات الاقتصاد السياسي ، ولا طبقا للصراع الطبقى الداخلى بين رأس المال والعمل ، كمـا يقـرر الماركسيون الكلاسيكيون ، انه بإختصار وبشكل مباشر ، نتيجة للاستراتيجية السياسية لرأس المال السويدى متعدى الجنسية ، المدعوم بتكثيـف عولمـة الانتاج ، والمترافق مع عولمة النزعة الليبرالية الجديدة ، وفى نفس الوقت : التصدع والانشقاق داخل حركة العمل على المسـتوى الـوطنى ومتعـدى الجنسية [٢] .

ويظل الحد الذى ستصل اليه صراعات العمل مع رأس المال معتمدا على (أ) المدى الذى ستصل اليه دورة رأس المال عبر الحدود الوطنية من ناحية ، و (ب) الحد الذى سترتبط من خلاله البناءات والاجراءات التنظيمية للعمال ببلدان أخرى من ناحية أخرى.

خلاصة ذلك أن تأثير العولمة الرأسمالية بممارساتها متعدية الجنسية ، والتى تجاوزت نطاق الدولة القومية ، قد أثرت بشكل جوهرى على مفهـوم الطبقة ، وجودا ووعيا ، هذا التأثير الذى يتباين ايجابا وسلبا ، وفقا لموقـع تلك الطبقة – بشرائحها وفئاتها المختلفة – من عملية العولمة الرأسـمالية ، هيمنة وخضوعا نسبيين . " حيث ازدياد قوة رأس المال الكـوكبي مقابـل العمل الكوكبي ، وهو ما أفضى ، ويفضى إلى بلـورة الطبقـة الرأسـمالية متعدية الجنسية ، فى مقابل تهميش واضعاف الطبقة العاملة ، محلية ومتعدية

---

(١) L.Sklair, (op.cit), p:100 .

(٢)A.Bieler, Transnational class formation and The demise of The Swedish Model, (www.Nottingham. Ac.Uk/polttics/europeangovernance)p:12.

الجنسية ، وذلك فى أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين [١]

ثانيا : فواعل التحول إلى العولمة الطبقية " متعدية الجنسية " :

رغم تعدد فواعل التحول نحو العولمة الطبقية ، بمستوياتها المختلفة ، ما بين اقتصادية ، وسياسية ، وايديولوجية . إلا أن بالإمكان تقرير أن الشركات متعدية الجنسية (TNC) تعد الفاعل الجوهرى والرئيسى في هذا الصدد . " هذه الشركات التى تعد تعبيرا عن / ونتاجا تنظيميا للقوانين الأساسية للتطور الرأسمالى فى حقبته الراهنة [٢]".

وعلى الرغم من أن (المستوى الاقتصادى) يعد هو الغالب والأكثر بروزا فى أنشطة تلك الشركات ، فإن تحركها عالميا فى سبيل بناء تحالفات تخدم مصالحها ، إنما ينطوى على أبعاد ذات طبيعة سياسية ، خاصة حينما تتبلور تلك التحركات والممارسات فى هيئة منتديات اقتصادية ضخمة هدفها صياغة الاستراتيجيات الاقتصادية على مستوى كوكبي .

كما تتضح الممارسات ذات الطابع الايديولوجى فى نشاط تلك الشركات المتجلى في تركيزها على القيم ذات الطابع الرأسمالي الاستهلاكى بشكل مكثف ، وهو ما يتجسد بوضوح في وسائل الاعلام الكوكبية ، والتى تحتكرها شركات كبرى محدودة العدد ، ولكنها بالغة الانتشار والذيوع عالميا .

- وتشير كافة الدلائل إلى أن المشروعات متعدية الجنسية ، التى اكتسبت أهمية أكبر فى الراهن ، تمثل القوة الطليعية للرأسمالية المعاصرة ذات الطبيعة الكوكبية .

---

(١)Robinson and Harris, Towards Aglobal Ruling class(op.cit) p:20.

(٢) محمد السيد سعيد ، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت – العدد (١٠٧) ، نوفمبر ١٩٨٦ ، ص ٩ .

ان الاتجاه الموضوعى نحو عولمة الانتاج ، وهو الاتجاه الذى كشفت عنه الرأسمالية منذ بداياتها قد تأكد الآن بصورة حاسمة في ظل النظام الرأسمالى الراهن ، فقواه الانتاجية لم تعد تكتفى فى نموها بالحدود الضيقة للدول ، ومن ثم فالمشروعات متعدية الجنسية تعتبر بدورها ظاهرة طبيعية فى تطور الرأسمالية ، فلا هى بالظاهرة العارضة ولا هى بالتطور المشوه . لقد كانت ثمرة للدور الذى لعبه رأس المال فى تدويل الانتاج ، ثم غدت اليوم هى الأداة الرئيسية لاضطراد عولمة هذا الانتاج (١)

يتضح ذلك تماما فى مدى ما تتمتع به تلك الشركات من قوة اقتصادية ، وقدرة على التوسع كوكبيا . فمن حيث قوتها الاقتصادية نجد " أن لأكبر الشركات متعدية الجنسية (مثل : اكسون موبل ، ول مارت ، جنرال موتورز ، شل ، تويوتا .. الخ) أصولا ثابتة ومبيعات سنوية تتجاوز اجمالي الناتج القومى لمعظم دول العالم . كما أن قدرتها على التوسع على مستوى كوكبي قد تنامت بشكل درامى ، حيث نجد أن عديدا من تلك الشركات (خاصة : أي بي إم ، ميكروسوفت ، ميتسوبيشي ، سامسونج ، نستله .. الخ) تتكسب أكثر من نصف ايراداتها المالية من خارج بلدانها فى المنشأ (٢) .

وعلى مستوى آخر ، نجد أن كلا من الشركات متعدية الجنسية (TNC) والبنوك متعديه الجنسيه (TNB) قد عملا على تسارع عمليات التشارك والاندماج المغامر عبر الحدود .

وقد بدأ هذا الاتجاه خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين ، حينما قامت شركتا كريزلر وجنرال موتورز بالإستثمار فى ميتسوبيشي ، وهوندا، وايسوزو في اليابان . وفى الراهن أصبحت عمليات التشارك والاندماج

---

(١) فؤاد مرسى ، الرأسمالية تجدد نفسها ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، العدد (١٤٧) ، مارس ١٩٩٠ ، ص ١٥٥ .

(٢)L.sklair, Globalization ..., (op,cit), p:36

معيارا كرسته الشركات متعدية الجنسية ، حتي أصبح حجم الاندماجات التى تحدث سنويا مقدرا بحوالى (٢ تريليون دولار) .

هذا والظاهرة الواضحة تماما فى هذا الصدد ، أن واحدة فقط من الشركات متعدية الجنسية في مجال من المجالات تقوم بالإندماج مع شركة أخرى ،إلا ونجد أن باقى الشركات فى هذا المجال تتبعها فى انتهاج نفس السياسة ، وهو ما يحدث من أجل مزيد من المنافسة ، وزيادة الارباح ، وكسب المزيد من الحلفاء الاستراتيجيين (١)

ولاشك أن عاملي القوة الاقتصادية الهائلة ، والقدرة على التوسع كوكبيا يعدان الأبرز والأكثر أهمية من بين الفواعل التي تنطوي عليها الشركات متعدية الجنسية حين تسلك طريقها نحو خلق كيانات اقتصادية – اجتماعية فى البلدان المحلية ، تتبلور فى شكل تكوينات طبقية ذات قوة مستمدة من قوة تلك الشركات ذاتها ، وهى القوة التي تتجاوز كما ونوعا ما قد تتمتع به تلك البلدان من قوة نسبية ، على الأقل علي المستوى المادي الملموس .

- ويترافق مع الدور الذى تلعبه الشركات متعدية الجنسية على مستوى الممارسات ذات الطابع الاقتصادى ، دور أخر يقع على(*المستوى السياسي*) ، إلا أن الممارسات السياسية متعدية الجنسية لاتنجز داخل نطاق المنظمات السياسية التقليدية ، حيث لا تمارس الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية ، ولا أي طبقة أخرى – "مبدئيا "– السياسة عبر أحزاب سياسية متعدية الجنسية ، فهذه الأحزاب ليس لها وجود ، حتى الآن علي الأقل .

ورغم ذلك فإن هناك العديد من المنظمات السياسية متعدية الجنسية ، والتي تنشط محليا عبر أقسام من الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية ، كأندية

(١) Mel gurtov, Global politics in the Human interest, Lynne Rienner publishers, Boulder, London, 1999, pp:33 – 34

الروتارى وفروعها ، وكذا شبكة الغرف التجارية الامريكية ، والأوروبية ،واليابانية الممتده عبر الكوكب [١] .

هذه المنظمات التي تعمل كأحزمة لنقل رسائل محددة وقاطعة وخطوط للاتصال بين الرأسمالية الكوكبية ونطاق الأعمال المحلى ، وتنطوي على قيم بعينها ، كالتنافسية ، والنمو ، والمادية ، وحرية الاستثمار ، والكفاءة .. الخ [٢]

وعلى مستوى أخر اكثر رقى يوجد (المنتدى الاقتصادي العالمي) الذى يعقد اجتماعاته في (دافوس) بسويسرا ،والمؤتمرات الكوكبية السنوية التى تنظمها مجلة (فورشن Fortune) ، والتى تضم قسمين من أقسام الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية ، هما (قسم المؤسسات Corporation fraction) المكون من مديرين تنفيذيين للمؤسسات متعدية الجنسية والوكلاء المحليين ، الى جانب (قسم الدولة State Fraction) والذى يضم بيرقراطيو وسياسيو الدولة المعولمين.

وهناك عديد من التنظيمات الشبيهة ، وان كانت أقل شهرة ، لشبكات العولمة الرأسمالية ، حيث توجد جماعة بيلدر بيرج Bilder berg ، ومائدة كوكس cox المستديرة لقادة الأعمال العليا .

هذه التنظيمات تلقى المساندة من جانب عدة كيانات رسمية قوية ، كوزارات الاقتصاد والتجارة الخارجية للدول الرئيسية ، والوكالات المتخصصة للبنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى ، ومنظمة التجارة العالمية،والوكالة الامريكية للتنمية الدولية (USAID) وبنوك التنمية ، والمنظمات غير الحكومية (المهيئة أو حتي غير المهيئة) للعمل فى مشروعات تعمل على تطوير أجندة العولمة الرأسمالية [٣]

---

(١) L.Sklair, Globalization - , (op.cit),p: 99
(٢)Mel Gurtov, Global Politics, (op,cit), p: 41
(٣) L.sklair, Globalization - , (op.cit), ppL99- 100

وفي محاضرة القاها (رونالـد دور Ronald Dore) ضـمن سلسـلة محاضرات نظمتها منظمة العمل الدولية (ILO) بشأن السياسة الاجتماعية ، يقرر : ان أعدادا متزايده من النخب الأمريكيـة والأوروبيـة والأسـيوية ، تنتمي إلي ما أطلق عليه مسمى : انسـان دافـوس Davos Man ، ويسـميهم آخرون : الكوزموقراط cosmocrats ، إنهم كوزموقراطيون ذوقا ، وانجلو – امريكيين مظهرا ، انهم من يقيمون زواج المصـالح ،ويشـغلون المقاعـد المتميزة فى تفردها بالطائرات ، ويتيحون الدرجات الوظيفيـة فـى معظـم الشركات الكبرى العالمية • انهم يشكلون إجمالا طبقة قائدة كوكبيا •

ويضيف ، أنهم يقرأون جميعا نفس الجرائد والمجلات التـى تشـكل نفس نمط الوعى : الفاينانشال تايمز ، ول ستريت جورنال ، الايكونوميست ، بيزنس ويك[١].

" ومنذ سنوات وصفت جريدة اللوموند دبلوماتيك الفرنسية والقريبـة من الحركة المضادة للعولمة النيوليبرالية ، وصـفت المنتـدى الاقتصـادى العالمى " دافوس " بأنه ملتقى سادة العالم الذين أصبحوا بلاشك مركز الليبرالية الفائقة Hyper liberalism والعولمة الرأسمالية [٢]

واذا كان مفهوم (السلطة Authority) قد ارتبط بالدولة ومؤسسـاتها الرسمية ، فى مقابل ارتباط مفهوم (القوة Power) بنطاقات أخرى عديـدة غير رسمية ، فإن لنا أن نقرر أن كلا المفهومين هما من نتاج مرحلة الدولة القومية ، والتى تم تجاوزها فى مرحلة العولمة الراهنـة ، التـى أفـرزت فعالياتها مفهوما آخر يصف بوضوح مدى التحول الذى يشهده واقعنـا مـن هيمنة ذات طبيعة مختلفة ، " حيث الأهمية البادية التى تعزى إلى " فاعلين " خارج إطار الدولة ،ويكتسب مفهوم (السلطة الخاصـة The Private Authority) أهمية متزايدة فى الأدبيات الحديثة للعلاقـات الدوليـة • هـذه

(١) R.Dore,New Forms and Meanings of work in an increasing Globalized world, international institute for laboure studies, (ILO) social policy lectures, Tokyo, December 2003, pp: 64 -65
(٢) J.Graz, How powerful are Transnational Elite clubs? The social Myth of The world economic Forum. New political Economy , vol.8, No.3, nov 2003, p : 321

الأدبيات التى تستكشف العلاقة بين السلطة السياسية والقوة الاقتصادية من خلال الاهتمام بتمفصلهما مع أنماط جديدة وفاعلين جدد يشكلون ويصيغون الاقتصاد السياسي للعالم الراهن ، وهو المجال الذى يشمل : دراسة فاعلين من الشركات الكوكبية ، والمنظمات غير الحكومية ، وحائزو المعرفة وناشروها عبر الشبكات الاعلامية ومخازن التفكير ، إلي جانب الجريمة المنظمة عبر القومية ، والشركات العسكرية (الأمنية) الخاصة [١] .

ومن هذا المنطلق يتم التركيز على دور أندية النخبة فى تشكيل السياسات العالمية تلك التي تقدم أرضية غيرة رسمية للتشبيك والتفاوض السياسي والاقتصادي ، الهادف الى صياغة الاستراتيجيات المستقبلية للعولمة الرأسمالية " متعدية الجنسية " [٢] .

هذا واذا كنا نفصل – بالتحليل – بين مستوى اقتصادى وآخر سياسي ، فإن الواقع يدلنا على ضرورة النظر إلى كلا المستويين فى تطافرهما ، حيث انهما يساهمان معا فى تشكيل كتلة حاكمة كوكبيا ، تتكون من قوى سياسية واقتصادية تقودها الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية " والتى تصيغ سياساتها وفقا للبناء الكوكبي الجديد للتراكم والانتاج الرأسمالى ، الذى يقود السلوك الاقتصادى والسياسي لهذه الكتلة الحاكمة ، ومن ثم يشار اليها ككتلة معولمة [٣]".

ثالثا : الطبقات متعدية الجنسية :

تفضى الممارسات الاقتصادية – السياسية متعدية الجنسية ، والمرتبطة بنمط الانتاج الرأسمالى المعولم فى الراهن الى إعادة تشكيل البنية الطبقية كوكبيا وتكون المحصلة حالة من الاستقطاب ، حيث نجد طبقة – أو بالأدق شرائح طبقية رأسمالية متعدية الجنسية ملحق بها شرائح من الطبقة الوسطى المعولمة التى تخدم مصالحها ، إداريا وفنيا ، وهما يمثلان فريقا

---

(١) I,Graz, Ibid, p:321
(٢) Ibid, p : 337 .
(٣) Robison and Harris, Towards A Global Ruling Class,(op.cit), p: 21 .

يعمل فئ تناغم معا ، أو لنقل قطبا واحدا • أما الفريق، أو القطب الآخر فيتمثل فى الطبقة العاملة على اتساع العالم الي جانب شرائح واسعة من الطبقة الوسطى المحلية ذات الطابع التقليدى ، والتي لاتؤهلها مهاراتها وخبراتها للالتحاق بسوق العمل الكوكبي •

وقبل ان نشرع فى تناول طبيعة هذه البنية الطبقية متعدية الجنسية بشكل أكثر تفصيلا ، أجد من الأوفق تحديد ما نقصده بالطبقة بشكل عام • وفى هذا الصدد يطرح (روبنسون وهاريس) تحديدا لها أجده ملائما للغاية وينطوى على كثير من العمق والدينامية ، حيث يقرران : "تعني الطبقة مجموعة من الناس الذين يتشاركون فى علاقة عامة بعملية الانتاج وإعادة الانتاج الاجتماعى ، متشكلين علائقيا، على أساس صراعات القوى الاجتماعية • وهو المفهوم الذى بالامكان تطبيقه على حالة التضاد الاستقطابى ، كالذى بين البورجوازية والبروليتاريا ، وأيضا على المصالح الجزئية داخل نطاق طبقة واحدة بعينها (كالرأسمال الصناعى والتجارى) [1]".

- ولعل من أبرز الصعوبات التى تواجهنا عند تناول البنية الطبقية متعدية الجنسية ، بما تنطوى عليه من تباينات ، ما تمثل فى امرين ، أولهما الجدة النسبية لموضوع الدراسة ،ومن ثم قلة البحوث والدراسات التى بالإمكان الرجوع اليها ، خاصة تلك المتبنية لمفهوم واع بشأن الوضعية الراهنة للعولمة بإعتبارها تقوم في جوهرها على ممارسات متعدية الجنسية متجاوزة لنطاق الدولة القومية بماتنطوى عليه من تفاعلات يغلب عليها التدويل دون أن تتعداه الى ما هو أشمل فى الراهن ، أعني العولمة •

والأمر الآخر ، يتمثل فى أن الدراسات المتاحة – عالميا – فى هذا الصدد قد ركزت جلها على الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية فى حين أهملت العمالية • كما أن تناولها للشرائح الطبقية الوسطى متعدية الجنسية

(1) Robinson and Harris, (op.cit) , p . 19 .

كان – في الغالب – بإلحاقها بالأخرى الرأسمالية . ومن ثم فإن المحصلة كانت عبارة عن تركيز على الشرائح الطبقية الغالبة والمهيمنة (رأسمالية ووسطى متعدية الجنسية) فى حين كان الاهمال من نصيب الطبقات والشرائح المغلوبة والمقهورة على مستوى عالمى (العمالية والوسطى التقليدية) .

ومن ثم وبالترتيب عليه ، كان الحل المتاح هو استعراض ومناقشة الشرائح الطبقية الرأسمالية والوسطى المعولمة المتاحة فى الأدبيات ، مع الوضع فى الاعتبار لعلاقة جدلها بالشرائح الطبقية الآخرى المتناقضة معها ، وجودا ووعيا .

(أ) الشرائح الطبقية الرأسمالية متعدية الجنسية :

قد يكون من الأوفق علميا الحديث بشأن شرائح طبقية رأسمالية متعدية للجنسية ، بدلا من أن نطلق على هذه الشرائح مسمى الطبقة . فهي عبارة عن شرائح ضمن نطاق طبقة رأسمالية أشمل ، فليست كل الطبقة الرأسمالية متعدية للجنسية بالضرورة ، وإنما شرائح منها ، قد تكون العليا تحديدا ، هذا رغم علمنا بأن رأس المال هو بطبيعته متعد للحدود ، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، حتى أن رأس المال المحلى الذى قد لايستهدف ممارسة نشاط يتعدى حدود الدولة الوطنية ، إنما يدخل فى علاقات تتفاوت كما ونوعا مع رأس المال متعدي الحدود .

ومن ثم فإذا كانت النظرة الشاملة العميقة تجعل من رأس المال جميعه متعديا للجنسية بشكل أو بآخر ، فإن التحليل الطبقى العلمى إنما يجد أن من الموضوعى تحديد الشرائح الطبقية المعنية بالدراسة فى تلك التى تمارس نشاطا متعديا للجنسية بشكل مباشر .

نذكر ذلك على اعتبار أن الدراسة التى تناولت هذا الموضوع بالدراسة استخدمت مفهوم الطبقة بشكل عام لتوصف به هذه الشرائح الطبقية الرأسمالية متعدية الجنسية دون تدقيق يذكر فى هذا الصدد .

- وبداية يقرر (روبنسون وهـاريس) أن الطبقـات الرأسـمالية قـد تطورت تاريخيا داخل الشرنقة الحمائية للدولة الوطنيـة ،وطـورت مصالحها في تضاد مع الرساميل الوطنية • وقد عبرت هذه الأوضاع عن تحالفات الطبقات والجماعات التى كانت متشاركة ضـمن كتـل تاريخة داخل الدولة الوطنية •

أما الآن فقد حلت العولمة محل الدولة الوطنيـة ، لنشـهد عمليـة للتشكيل الطبقى متعدى الجنسية • وذلك فى الوقت الذى تحول وتحور فيـه دور الدولة الوطنية كوسيط يتخلل العلاقة بين الطبقات الأدنى بالرأسـمال • حيث يتم عولمة الجماعات الاجتماعية المهيمنة والخاضعة على حد سـواء ، عبر بناءات ، ومؤسسات متعددة ومختلفة [١] .

" وتعكس سياسات الليبرالية الجديدة التغيرات التي طرأت على تنظيم هذه الطبقة الرأسمالية لنفسها إزاء الوسائل الجديدة للإنتاج • وإن المطالبـة بأسواق حرة، ونظم تمويل مفتوحة قد تطورت نظرا لطبيعـة رأس المـال القادرة على الغزو ، وهو ما أنطوى على نظام متعدى للجنسية [٢]".

- وتعد الشرائح الطبقية الرأسمالية " متعدية للجنسية " لعدة أسباب تتمثل فيما يلى:

١- اتجاه أعضائها الى التشارك فى المصالح الاقتصادية الكوكبية ، وكذا المحلية •

٢- محاولتهم فرض السيطرة الاقتصادية على نطاقات العمل بمستوياتها المختلفة •

٣- والسيطرة على السياسات الداخلية والخارجية •

٤- والهيمنة الايديولوجية / الثقافية على الحياة اليومية •

---

(١) Robinson and Harris, (op.cit) . p : 15

(٢)Jerry Harris, Information Technology and Global class Formation, (www, Net 4 dem. Org/mayglobal/ paper/jerryharris- ukpaper. Pdf)

٥- وتمتعهم برؤى كوكبية بأكثر منها محلية فيما بتعلق بعديد من القضايا.

٦- واتجاههم إلي أن يكونوا أناسا من بلدان متعددة ، وكثير منهم يعتبر نفسه مواطنا عالميا .

٧- فضلا عن كونهم يتجهون إلي التشارك في أساليب حياة متشابهه ، خاصة فى أنماط الاستهلاك السلعى والخدمى الفاخر [١] .

- وتتكون هذه الشرائح الرأسمالية متعدية الجنسية من عدة أقسام ، وقد صنفهم أبرز المنظرين فى هذا الصدد ،وهم سكلير ، وروبنسون ، وهاريس ، على نحو مشابه إلي حد كبير .

ونتعرف فيما يلي على أهم وأبرز تلك التصنيفات :

(١) يرى (سكلير) أن " الطبقة " الرأسمالية متعدية الجنسية تتضمن أربعة أقسام هى :

(أ) المديرون التنفيذيون للشركات متعدية الجنسية ومؤسساتها المحلية (قسم الشركات) .

(ب) بيروقراطيو وسياسيو الدوله المعولمين (قسم الدولة)

(ج) المهنيون المعولمون (القسم التقنى)

(د) التجار والاعلاميون (القسم الاستهلاكى) [٢]

"هذه التقسيمات الأربعة هى – في منظور سكلير – فئات تحليلية يمكن تمييزها ، وهى ذات وظائف مختلفة للنظام الرأسمالى العالمى ، ينتقل فيها الاشخاص على الأغلب من فئة إلى أخرى ،وتوصف أحيانا بأنها " الباب الدوار " بين الحكومة والتجارة [٣] ".

(٢) أما (روبنسون وهاريس) فيريان أن هذه الشرائح الطبقية ، ونتيجة لأنها تضم أصحاب مصالح اقتصادية وسياسية فى ذات الوقت ،

---

(١) L.sklair, Globalization-, (op.cit),pp:98-99

(٢)Ibid, p:99

(٣) ليزلى سكلير ، الحركات الاجتماعية والرأسمالية العالمية ، (فى) : ج. روبيرتس وايمي هايت (محررا) من الحداثه الي العولمة ، (م.س.د) ، ص ٢٤٣

فإنه يصح أن نطلق عليها مسمى : الكتلة الطبقية ، وهما ينظـران إلي هذه الكتلة الطبقية باعتبارها قائدة كوكبيا ، وذلك مـن خـلال الشركات متعدية الجنسية ،ومؤسسات التمويل العالمية • وهى تضم إجمالا :

(أ) القوي الرئيسية في الأحزاب السياسية المهيمنة •

(ب) النخب الي تدير وكالات التخطيط الاقتصادى متعدي الجنسية •

(ج) المهيمون على وسائل الاتصال والاعلام الكبرى •

(د) النخب التكنوقراطية •

(هـ)مديرو شئون الدولة •

وهى الفئات التى تتواجد فى الشمال والجنوب على حد سواء [١]

- ولعل من أبرز ما يمكن ملاحظته علميا على ما قدم مـن تصـنيف لمكونات تلك الشرائح الطبقية الرأسمالية متعدية الجنسـية ، ينصـب على عدم وضع معايير محددة بعينها لتصنيف تلك الفئـات ضـمن مكونات الشرائح الطبقية الرأسمالية دون غيرها ، كالشرائح العليا من الطبقة الوسطى على سبيل المثال • ومن ثم حُفل كـلا التصـنيفين المطروحين بتعميم يبدو مخلا فى بعض جوانبه ، ولايكفـي هنـا أن نقرر – كما في رؤية سكلير – أن الاشخاص ينتقلون من فئة لأخري بطريقة الباب الدوار بين الحكومة والتجارة • ومثالنا علي ذلك مـا طرحه (سكلير) لفئة كالمهنيين المعولمين (القسم التقني) فهل كـل المهنيون (المهندسون – الأطباء – المحـامون •• الـخ) الـذين يمارسون نشاطا يتعدي حدود وطنهم الاصـلي ، يصـنفون ضـمن الشرائح الرأسمالية ، أم أن بالإمكان تسـكين بعضـهم – وبشـروط محدده – ضمن الشرائح العليا من الطبقة الوسطى المعولمة ؟ وهو ما

(١) Robinson and Horris, (op.cit),pp:11-12 .

قد يتم تحديده وفقا لحجم أنشطتهم الخارجية هذه ، ومدى ما يقومون بمراكمته رأسماليا ، وقدر استغلالهم لفائض قيمة عمل من يعملون معهم في درجات ووظائف أدني ٠٠ الخ فليس كل من يمتلك خبرات ومهارات مهنية متخصصة رفيعة المستوي ويعمل بنفسه ولا يستخدم أحدا براسمالي ، وإنما هو منتمي بشكل أو بآخر إلى احدي شرائح الطبقة الوسطي ٠

- نفس الأمر نجده فيما يتعلق بفئة التجار والاعلاميون (القسم الاستهلاكي) ونتساءل مبدئيا ، إلي أي مدي يكون ملائما وضع التجار من ناحية والاعلاميون من ناحية أخرى ضمن فئة واحدة ؟ والي أي حد يكون ملائما تقرير أن الاعلاميين – هكذا باطلاق ٠٠ يمثلون شرائح رأسمالية متعدية للجنسية ؟ انهم بطبيعة أعمالهم ، كمهنيين متخصصين ، قد يتجاوزون حدود أوطانهم ، إلا انهم ليسوا بالضرورة رأسماليين ٠ كما أنهم قد يقومون بأنشطه ذات طابع اعلامي – اعلانى استهلاكي ، إلا إنهم ليسوا بالضرورة أيضا رأسماليين كلية ،وذلك مع الوضع في الاعتبار أن جانب الاستهلاك هو جوهر الايديولوجية الرأسمالية التي تمثل أحد الأضلاع الثلاثة ، مع الضلعين الاقتصادي والسياسي ، التي تقوم عليها الممارسات الرأسمالية متعدية الجنسية ومن ثم ، فقد يكون من الأوفق حصرهم في الشريحة المهيمنة علي وسائل الاتصال والاعلام الكبري ، كما في تصنيف (روبنسون وهاريس) ٠

ومن ناحيه اخري ، نجد انه ليس كل من يمارس نشاطا تجاريا خارج حدود وطنه برأسمالي متعدي للجنسية ، فهناك من يمارس نشاطه علي نطاقات محدوده لاتجعله – أو بالأدق– لا تمكنه من أن يراكم رأسماليا بالقدر الذي يلحقه " بجدارة " بشرائح الرأسمالية متعدية الجنسية ذات الطبيعة الكوكبية ،و من ثم فإن حديثا عن تجار معولمين لابد وان يخضع لمعايير

وضوابط يتحدد من خلالها كم ونوع مشاركتهم علي نطاق عالمي ، ودرجه انتماءهم للشرائح الرأسمالية متعدية الجنسية.

· بالإضافة لذلك ، وفي الاتجاه ذاته ، إلي أي مدي يكون صحيحا أن نصنف (القوي الرئيسية في الأحزاب السياسية المهيمنة) في تصنيف روبنسون وهاريس – على أنها أحد الفئات المكونة للكتله الطبقية الرأسمالية متعدية الجنسية ؟ إن هذا يصير صحيحا في حاله واحدة ، هي أن تكون الايديولوجيا المهيمنة علي جميع القوى الرئيسة في هذه الأحزاب هي الايديولوجيا الرأسمالية متعدية الجنسية ، وهو وإن كان يصح علي بعض الأحزاب حول العالم ، في الشمال والجنوب ، إلا أنه لا يصح علي جميع الأحزاب وقواها الرئيسية ، مثالنا علي ذلك قوى عديدة تهيمن علي أحزاب سياسية لاتتبن الايدولوجيا الرأسمالية ، بل ترفضها وتناهضها ،محاولة طرح البدائل ، وهو ما نجده بارزاً في الأحزاب الحاكمة في عدة دول بأمريكا اللاتينية في الوقت الراهن · وعليه فان التعميم في هذا المقام قد يكون مضللا بشدة ·

واجمالا ، فإن هذه التصنيفات ماتزال في بداياتها ، وهي تحتاج الي مزيد من الدرس لبلورتها وفقا لمعايير علمية ، وتحديدات مفاهيمية جامعة مانعة ، بحيث تصبح أكثر فاعلية في شأن تناولنا لهذه البنية الطبقية التي لاتزال في طور التشكيل.

(ب) الشرائح الطبقية الوسطي متعدية الجنسية :

تشغل الشرائح الطبقية الوسطى المعولمة جزءا مهما للغاية من البنية الطبقية متعدية الجنسية · وهي الأهمية التي تنبع من نوعية الدور الذي تلعبه تلك الشرائح الطبقية ازاء رأس المال الكوكبي · فاذا كان للشرائح الطبقية الرأسمالية ملكية وحيازة فاعلة في رأس المال الكوكبي ذي الطابع

المؤسسي ، فان الشرائح الطبقية الوسطي تقوم بعمليات التسهيل والتيسير الفاعل والنشط لتمدد وتوسع رأس المال والسوق الكوكبي [١] فنيا وإداريا .

ومن ثم ، وبالترتيب علي تلك العلاقة الوثيقة بين الشرائح الطبقية الرأسمالية والوسطى متعدية الجنسية ، فإن عديدا من الباحثين والمنظرين في هذا الصدد ، لايكادون يميزون بين كلا النوعين من الشرائح الطبقية : الرأسمالية والوسطى ، فيتناولونهما في تحليلاتهم معا دون تمييز واضح ، وذلك علي اعتبار انهما يمثلان كتله طبقية ذات مصالح وانتماءات مشتركه تولدت كنتاج لعمليه العولمة الرأسمالية .

وفي هذا يذكر البعض : أنه مع بزوغ الشركات متعديه الجنسية برزت نظرية تقول بأن الفضاء الاجتماعى يشهد مولد نخبة من نوع جديد تكاد تكون منزوعة القومية ،هذه النخبة العالمية تتكون من رجال أعمال ، ومديرين تنفيذيين في الشركات متعدية الجنسية ، ومعهم أعداد كبيرة من الصحفيين ، والدبلوماسيين ، وأصحاب المكاتب الاستشارية ، والفنيين البارزين في مجالات تكنولوجيا الانتاج والاتصال .. الخ .

ويدور نشاط هذه النخبة حول قضايا ومشكلات ذات طبيعة عالمية أو متعدية الجنسية . وهي غالبا ما لاتبقي لفترة طويلة في بلادها الأم ، فهي كثيره السفر والترحال ، وحياتها اليومية في كل مكان معلقة بالأنشطة العالمية ، ان هذه الوضعية الجديدة أفضت الي حالة يتقوض خلالها المجتمع الجماهيري لصالح بروز مجتمع مكون من فئات أو جماعات متقاربة في المصالح ، والمهارات ، والثقافة ، وفي حين أنها متواصلة عالميا مع بعضها البعض ، فإنها قد لاتكون متكاملة قوميا [٢] .

- وقد طرح (زيانج بياو Xiang Biao) عدة خصائص تميز هذه الشرائح الطبقية الوسطى متعدية الجنسية ،وتتمثل فيما يلي :

---

(١) Xiang Biao, Ethnic Transnational Middle class in formation, A case stuby of Indian information Technology Professionals (biao. xiang @ ST0 hughs. Ox ac. Uk)

(٢) محمد السيد سعيد ، العولمة والقيم الثقافية في مصر ، قضايا فكرية ، الكتاب التاسع عشر والعشرون ، اكتوبر ١٩٩٩ ، ص ص ١٨٠ – ١٨١

(١) إن مصلحتهم الجمعية تكمن في خدمة رأس المال الكوكبي بأكثر من الاقتصاد المحدد بالحدود المحلية ، وهم في ذلك يتجهون للدفاع عن الاقتصاد الرأسمالي ذي الايديولوجية الليبرالية الجديدة.

(٢) انهم ليسوا في موقع " وسيط " بين رأس المال والعمل فقط ، ولكنهم يشغلون نفس الموقع أيضا بين ما هو كوكبي وما هو محلي ، حيث تيسر الشرائح الطبقية الوسطى عمليه اختراق رأس المال الكوكبي للمجتمع المحلي ، وكذا يقومون بتحريك المصادر المحليه لصالح رأس المال الكوكبي، فضلا عن الاشراف على آليات العمل المحلي لتحقيق نفس الهدف .

(٣) وتشارك هذه الشرائح في عملية العولمة بشكل رئيسي من خلال عولمة قوة عملهم. فهم يبيعون قوة عملهم لمن يدفع أكثر بغض النظر عن جنسيته، وهي العملية التي يعيدون من خلالها تصنيف مواقعهم والتكيف مع الأوضاع الجديدة .

(٤) وفيما لايشبه علاقة الطبقة الوسطي المحلية بالأخرى الرأسمالية ، فان الشرائح الوسطى متعدية الجنسية بإمكانها أن تصبح مالكة لرأس المال بشكل سريع ، أي أن حراكها الصاعد ممكن دائما وبقدر أكبر من اليسر والسلاسة [١] .

• انهم اجمالا يمثلون شرائح طبقية متعديه للجنسيه تتسم بخصائص مشتركة الي حد كبير ، سواء في أدائها لأعمالها أو في استخدامها لمفاهيم ومفردات تتسم بخصوصيتها وتمايزها عن غيرها من فئات وجماعات اجتماعيه اخري داخل مجتمعاتها المحلية . وفي رؤية (ريتش E.Rich) انهم النخبة الاجتماعية الجديدة التي تنفق بذكاء لتأهيل ذاتها من أجل أن تكون قادرة علي بيع وتسويق مهاراتها، ومعارفها ، واستبصاراتها في السوق الكوكبي . وهم يمثلون " طبقة فائقة جديدة A New over class هذه

(١)Xiang Biao, Ethnic Transnational – (op.cit), P:17

الطبقة – أو بالأدق الشريحة الطبقية – ليست محددة بحدود البنيـة الطبقيـة المحلية لمجتمعاتها بالمعني التقليدي السائد في التحليلات النظرية الكلاسيكية للطبقه الاجتماعيه [١] .

وهو ما قد يرجع – وكما أوضحنا في دراسة سابقة لنا – الي التحول الذي أصاب البنية الاقتصادية والمعرفية ونزوعهما نحو الرمزيـة ، حيـث أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي القطاع الرائـد الـذي يقـود الاقتصـاد الرأسمالي ، الي الحد الذي ينقلنا من عصر الصناعة ، بمفهومهـا المـادي الملموس ، الي عصر ما بعد الصناعة ، وهوما انعكس علي بنية وتكـوين بعض الجماعات ، والفئات ، والشرائح الطبقية الأكثر احتكاكا وتأثرا بهـذا التحول ، حيث أصبح بالإمكان الحديث في الراهن عن عمليات مستحدثة من التشكيل الطبقي الذي يعتمد علي التواجد الرمزي المحـاكي (Virtual class) لتلك الشرائح والفئات الطبقية بأكثر من مجرد الاجتهاد في تحليـل أنمـاط وجودها ، فضلا عن وعيها ، بالاستناد الي عمليات إعادة الانتـاج المـادي للطبقة في التحليلات التقليدية .

اننا نجد ذلك متجليا عند النظر في حال وجودهـا المـادي وإعـادة انتاجها لذاتها طبقيا ، والذي لم يعد يعتمد – في أحيان عديدة – علي مجـرد الحصول علي نصيب من اجمالي الناتج المحلي لمجتمعاتها بقدر ما يعتمد في الحصول عليه من اجمالي ناتج عالمي ، وبشكل يكاد يكون مباشرا في الكثير من الاحيان وهوما يتم عبر وسائل بالغة التقدم تكنولوجيا ، وقد لايخضع لأي من القواعد الحاكمة لنظم العمل علي المستوي المحلي .

وهو أمر تشترك فيه هذه الشرائح الطبقية المعولمة مع غيرهـا ذات الامتداد العالمي [٢] .

---

(١)Philip Brown and Hugh Lauder, capitalism and social Progress, palgrave publishers, new York, 2001 , [[:: 135 - 140

(٢) محمد عبد المنعم شلبى ، تحولات الطبقة الوسطي في ظل العولمة ، مجلة أحوال مصرية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجيه العدد ، (١) ، صيف ١٩٩٨ ، ص ص ١١٦ - ١٢٠

كذلك بينا في دراسة أخري ، أن من أبرز خصائص تلك الشرائح الطبقية البازغة ما يرتبط بعدم وجود هيكل ثابت ينتظمها بشكل محدد ، سواء علي مستوي وجودها أو وعيها ، أو بتعبير آخر ، مستوي عملها وعمليات إعادة انتاجها ، وفاعليتها ومشاركتها وانتماءاتها ،فمن الملاحظ علي نظام أعمالها المختلفة – في غالب الأحيان – أنها تؤدي وظائف دون هياكل واضحة محددة ، فقد تتباين الهياكل وقد تختفي في أشكالها النمطية ، في الوقت الذي يتبدل فيه العاملون الذين أصبحوا يعملون لبعض الوقت بدلا من كل الوقت كما كان يحدث ، وكذا تبدل أنماط التواصلات بين الداخل والخارج ، وتنوع الأنشطة في مدي زمني قصير نسبيا • الخ •

ومع ذلك تظل الأدوار قائمة ومستمرة في ظل هياكل متغيرة • وهو ما قد يتضح بالمقارنة بين ظروف عمل (مبرمج كومبيوتر) ينتقل بحاسبه المحمول (Lap Top) عبر الزمان المتباين (فروق التوقيتات العالمية) والمكان (النطاق المحلي والفضاء الكوكبي) ، بقدر كبير من الحرية الذي قد لايلزمه بالتواجد الفيزيقي في مكان بعينه (سواء داخل نطاق مؤسسة يعمل بها ، أو منزل يقطنه ، أو وسيلة مواصلات ينتقل بها • الخ) ، مقارنة بظروف موظف بيروقراطي يعمل بالجهاز الحكومي ، يؤدي عملا روتينيا ، ويخضع للهيراركي الوظيفي ، وعلاقات العمل ، والارتباط بكافه شروط التواجد النظامي في الزمان والمكان المحددين بقدر من الصرامة •

ينتمي الاول الي شريحة وسطي معولمة " متعدية الجنسية " في حين ينتمي الآخر الي شريحه وسطي تقليديه " محلية ": من الطبقه الوسطي [1]

وبقدر أكبرمن الاجرائيه يذكر (زيانج بياو X.Biao) في دراسته عن المبرمجين الهنود في مجال تكنولوجيا المعلومات ، والمنتمين بشكل أساسي للشرائح الوسطي متعدية الجنسية ، والذين اطلق عليهم : أناس الكومبيوتر

(١) محمد عبد المنعم شلبي ، الواقع الوسطي ، اتجاهات التغير بين التفكيك والتهميش والادماج ، (في) عبد الباسط عبد المعطي (محرر) الطبقات الاجتماعيه ومستقبل مصر ، مشروع مصر ٢٠٢٠ ، منتدي العالم الثالث ، دار سيريت للنشر ، القاهره ٢٠٠٢ ، ص ص ٣٢٤ - ٣٢٦

Computer People ، انهم اغنياء ، منافسين والأكثر أهمية قادرين علي الانتقال عبر البحار في أي وقت يشاءون . وهم يكسبون بما يعادل مرتين الي خمس مرات مقارنة بالمهندسين الذين لايعملون في مجال تكنولوجيا المعلومات . كما تتجاوز وضعيتهم الاجتماعيه نطاق بلدانهم الي العالم ، فهي وضعية اجتماعية متعدية للجنسية ، وهو ما جاء كنتيجة طبيعية لعلاقتهم الوثيقة برأس المال الكوكبي [١] .

- ومن ناحية أخرى ، يلفت (سن لينج وود Hsin Ling wu) النظر الي الارتباط بين النخب متعدية الجنسية وما أطلق عليه المدن الكوكبية ، وذلك بدراسته التي ركز خلالها علي مدينه شنغهاي الصينيه ، باعتبارها رمزاً قوياً علي الانفتاح العالمي ، والمتأثرة بشدة بتطوير السياسات ذات الطبيعة الليبرالية حيث يرصد كيف تساعد هذه النخب المهنية علي تحويل صورة شنغهاي التقليدية لتتلائم مع سماتهم وخصائصهم ، والمتمثلة في خلفياتهم التعليمية العليا ، ومعارفهم ومهاراتهم المهنية المتخصصة ، ودخولهم المادية المرتفعة ومن ثم ارتباط مظاهر النزعة الاستهلاكية الجديدة في شنغهاي باحتياجاتهم وتطلعاتهم [٢] .

- ولا تقتصر هذه النخبة – بالطبع – على مصممي البرامج وأنظمة المعلومات ، بل تضم أيضا مهناً أخرى متنوعه تضم : الباحثين العلميين ومساعديهم ، والفنيين الذين علي صلة بصناعة وتطوير أجهزة الكمبيوتر، كما يتزايد دور المهندسين المدنيين ، والعلماء ، والباحثين في مجال الهندسة الوراثية ، وهندسة الفضاء والاتصالات . وخبراء التمويل والتسويق ، والمستشارين في مجال الاستثمار ، ومنتجي البرامج التعليميه ، وصانعي الافلام ، والناشرين والمشتغلين

---

(١)Xiang Biao, (op.cit), P:4

(٢)Wn, Hsin Ling. on The Lifestyle of transnational Elites in shanghai. (https:// gra 103. aca. Ntu. Edu. Tw/gdoc/ d91228002a.pdf)

بالاعلان ووسائل الاعلام، وهي وظائف من الممكن توصيف العاملين فيها علي أنهم من " عمال المعرفة Knowledge workers [١] .

- ويظل مهما للغاية التأكيد علي أنه علي الرغم من أننا ربطنا منذ البداية بين هذه الجماعات والشرائح الطبقية البازغة وعملية العولمة ، فإننا لابد وأن ندرك أن جميع الفئات والجماعات والشرائح الطبقية هي في حالة تواصل ، بدرجة أو بأخري مع عملية العولمة ، سلباً وايجاباً ، حتى أكثرها تقليدية وتخلفاً . غير أن ما نقصده – في هذا الصدد تحديداً – هو الجماعات والشرائح الطبقية الوسطي التي تعد في " الطليعة المستفيدة " – نسبياً – من بين كافة هذه الفئات والشرائح والجماعات الطبقية ، بحكم نوعية أعمالها ، وقيمها و ورؤاها وتصوراتها ، وكثافة علاقاتها بالعالم وتطوراته علي كافه المستويات والصعد . فإذا كانت العولمة الرأسمالية قد فرضت شروطا وضرورات تتعلق بالتمكن من مهارات وخبرات معرفيه ، وتكنولوجية ، وتسويقية ،واعلامية ، وتفاوضية .. الخ ، فإن تلك الشرائح والجماعات الطبقية الوسطى البازغه هى الأكثر ارتباطا بها ، مما جعلها جماعات معولمة من حيث الانتماءات والمصالح [٢] .

انهم – في أحد التعبيرات – " مهنيون واداريون يعون قيم العصر ومفرداته ، يطورون " بأنفسهم " مهاراتهم الشخصية ، كي ينالوا فرصة العمل التي يبحثون عنها . يتعلمون اللغات ،ويتقنون التعامل مع الكومبيوتر ، ويتدربون على لقاءات الاختبارات الشخصية التى تسبق الالتحاق بالوظائف التي تحتاج الي مهارات خاصة . ولأنهم مبادرون ، يسعى الكثير منهم الي العمل المناسب في لحظة محددة ، ولأنهم متخصصون ، يعرفون

---

(١) جيرمي ريفكن ، نهايه عهد الوظيفة ، انحسار قوة العمل العظمي وبزوغ حقبة ما بعد السوق ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبوظبي ، الطبعة الاولي ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٢٤٨ – ٢٤٩)
– وايضا : رمزى زكى ، وداعة للطبقة الوسطى ، دار المستقبل العربى ، القاهره ١٩٩٧ ، ص ص ٣٣- ٣٤ .
(٢) محمد عبد المنعم شلبي ، المواقع الوسطي (مرس.ذ) ، ص ص ١٧٤ – ٣٢٦ .

قواعد السوق وقوانينه الجديده ويتفهمونها ، وينتقل بعضهم وراء الأجر والمميزات بين موقع وآخر [١] .

- واجمالا ، يصبح مشهد البنية الطبقية العالمية – في تحليل روبنسون وهاريس – متمثلا في وجود الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية في مركز الكتله المعولمة ، وتتكون من ملاك ومديرى المؤسسات متعدية الجنسية ،والرأسماليين الاخرين حول العالم الذين يديرون راس المال متعدي الجنسية ، كما تنطوي هذه الكتلة أيضا على الكوادر ، والمديرين البيروقراطيين والتكنوقراطيين الذين يديرون توكيلات المؤسسات الدولية ، كصندوق النقد والبنك الدوليين ، ومنظمة التجاره العالميه ، وغيرها من المنتديات متعدية الجنسية في الشمال والجنوب .

فضلا عن ذلك تضم تلك الكتلة المهيمنة سياسيين، وشخصيات كاريزمية (آسرة) ، الي جانب مثقفين عضويين مختارين يقدمون الشرعية الايديولوجية والحلول التكنيكية .

ويقع أسفل هذه النخبة متعدية الجنسية شريحة صغيره منكمشة من الطبقات الوسطي، الذين لا يتمتعون الا بقوة ضئيلة للغاية ، إلا انهم يشكلون حاجزا هشا بين النخبة متعدية الجنسية والغالبية الفقيرة في العالم [٢] .

* ومن ثم وبالترتيب عليه يصح تماما ما قرره كل من (هانس مارتين وزميله هارالدشومان) من " أن قتامة المستقبل تبدو في انه سيكون صورة من الماضي المتوحش للرأسماليه في فجر شبابها ، حيث سيكون هناك (٢٠%) فقط من السكان ، الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام ، أما النسبة الباقية (٨٠%) فتمثل السكان الفائضين عن الحاجة الذين لن يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال الخير [٣]

---

(١) عبد الله كمال ، مجله روز اليوسف ، القاهره ، العدد (٣٧٠٠) ، مايو ١٩٩٩ ، ص ص ٢٦- ٢٩.

(٢) Robinson and Harris, (op.cit). p . 2

(٣) هانس بيتر مارتين وهارالدشومان ، فخ العولمه ، الاعتداء علي الديمقراطيه والرفاهيه ، ترجمه عدنان عباس علي ، سلسله عالم المعرفه ، العدد (٢٣٨) ، الكويت ، اكتوبر ١٩٨٨ ، ص ٩